قراءة

للشّاعر القبرصي، الذي صدرت حديثاً مجموعته «قليل من الملح» بترجمة ميشرافي عبد الودود، قدرةٌ على إيهامنا بأنّ الأشياء التي تحدث دائماً تحدث في قصيدته للمرّة الاولى. إنّ له تلك القدرة على جعلنا نرى التكرار مرّةً تلو الأخرى، ونعتبره رغم ذلك تكراراً بريئاً

سوهر شحادة

في مجموعة «قليل من الملح» للشّاعر القبرصي باميوس كوزاليس، الصادرة حديثاً عن «دار خطوط وظلال» بترجمة ميشرافي عبد الودود، شعرٌ فتيٌّ يَصدحُ في فضاءٍ مُتَسامِح. إذ يتكشّف الشعر عن كتابةٍ عبر الآخر ومن خلال حضوره، الآخر لدى كوزاليس رحمٌ يخرج منه الشعر، وهو آخرُ يُنادَى منه ويُؤوَى إليه.

لقصائد الشاعر القبرصي تلك القدرة التي يمتلكها الشعر على أن يوهمنا بأنّ الأشياء التي تحدث دائماً، تحدث في قصيدته للمرّة الأولى. إنّ له تلك القدرة على جعلنا نرى التكرار مرّةً تلو الأخرى، ونعتبره على الرغم من ذلك تكراراً بريئاً. نجد الشعر استباقاً لما يحدث، وفي الاستباق مناداة لحدوثه. تتماهى القصائد مع الزمن الماضي البعيد، الذي يتشارك فيه الأسلاف مع الكائنات والأشجار الطفولة ذاتها، وهو زمانٌ مُشتهى أيضاً. كما في قصيدة نشرة طقس: «في هذا التقرير لحالة الطقس/ من زمن قديم جدّاً/ كان المطر يهطل بلا انقطاع/ بقطرات كبيرة/ كم أمكن راحة الطفل الإمساك منها؟/ وكيف يتسنّى مسبقاً إرواء/ عطش مرتقب؟».

يتحدّث كوزاليس عن أصوات منسية، ما يعزّز تصوّراً مفتوحاً عن الزمن. إلى جانب أنّه لا يصل إلى غاياته، من ألفة وعناق وشعور بالآخر، وإنّما يبدأ من تلك الغايات ويعتبرها محتمة. فهو إن لم يمتدح حدوثها، فإنّه يشكو من غيابها، في جوٍ من الرهافة والقلق يسم القصائد جميعها. في قصيدته «بندول» تتوضح رؤيته هذه: «يأتي النهار ويذهب/ مثلما رقّاص الساعة/ يبدو منشغلاً بعدّ أجساد/ تأتي وتذهب/ بلا مداعبة أو عناق».

يتأكّد تصوّر كوزاليس الشّعري حيال موضوعاته، عبر اعتماده على تصوّر حسّي عن العالم الذي يشيدُ خطاباً شعريّاً في موازاته. بذلك نجدهُ يعمد إلى صور شعريّة تتمثّل في الجسد ذاته، مع الإشارة إلى أنّه جسدٌ ممتلئ بالآخرين إمّا بحثاً عنهم أو تذكّراً لهم وفي الوقت الذي يحتفي بالجسد، يعبّدهُ إلى رغبات واشتهاء. كما في: «كلّما ضاق بي جسدي باكثر مما أحتمل/ كلّما استطالت الطرقات»، «الوقت متأخر جداً/ يتقطر الليل رويداً رويداً/ يتوقف العناق المتواصل/ مع تمام السادسة/ ينبغي على وجه السرعة/ العثور على جسد شاعر ليلاً». إذاً يتكثّف المعنى لدى كوزاليس عن طريق حشده للآخرين.

ويأخذ التلاشي الذي يعانيه، الذي هو امتلاءً بآخرين، بالازدياد مع العمر والتجربة. ويصل في مجموعة متفرّقة من القصائد يتحدّث فيها عن العائلة، الأب والأم والعمة، إلى محاكاة خاصة للطقوس، إلى حالٍ يتصالح فيه مع آلام وحدته. إنّه يساند العائلة بقدر ما تسانده باستخدام تصوّرات منزليّة؛ تمثّل المعرفة التي يحصّلها إنسان يعيش وسط الآخرين، ووسط الآلفة التي تنشأ برفقة العائلة، في قصيدته «ابتسامة» أكثر مشاهد المنزل مثاليّة: «على الطاولة طبق من عجين الأرغفة/ تخمر كما ينبغي/ قرأت في تشققاتها/ ابتسامة/ ستصير عما قريب/ سنبلة». لا يحتاج القارئ إلى الكثير من الجهد كي يتلمّس خط التجربة التصاعدي في القصائد، فكلّ قصيدة كانت تضيف وافداً إلى ذات الشاعر.

يظهر البعدُ الذاتي في القصائد في توصيف علاقات كوزاليس مع ما ومن يعيشُ معهُ، وتتسق القصائد في دلالاتٍ مضبوطة؛ فما إن يستخدم اللغة للحديث عن الصمت، حتى يرى القارئ في تأمّلات الصمت وشعريته عزلة رجل يتأمّل الوجود والطبيعة. وينتهي دائماً رجلاً وحيداً يبحث عن جسدٍ كي يغمره، يبحث عن جسدٍ كي يتقاسم معهُ تذكارات عالم مليء بالأزواج/ جسدي مبتوراً/ يلوذ بحضنك طالباً/ لجوء عشق».

وفي قصيدته «مرآة» يظهرُ نرجسياً معتدّاً بعالمه، إذ يرافقُ صورتهُ ويراقصها، ويقصي ذاته عن الوجود خارجها: «هل ترقص»/ كيف لا أنّي دعوة/ مرآة بابتسامة محفورة في الخشب/ لطالما رقصنا كثيراً/ الراس التي تنحني على كتفها/ تتلمّس شفرة النصل التي لا ترى/ لطالما رأيتُ صورتها/ تنعكس/ على الحدقة الخائفة/ «يا له من رجل وسيم»/ إلهي، إنّه قاتلي»/ كيف لا أبَي/ دعوة مرآة/ تتطلع عيونها في عيوني؟!».

تتمثّل طريقةُ كوزاليس في الكتابة بالأسلوب المتمايز الذي يتناول الأشياء من حوله، وقد جعل من عيشه وحيداً فرصة لبناء علاقاتٍ جديدة ومتنوّعة مع الأشياء التي تُشكّل عالمه. لذلك كان يظهرُ رجلاً مختلفاً بين مجموعة نصوص وأخرى. لربما كان أحدُ غيرهُ من ظهر في انعكاس المرآة، لربما أحدُ غيره من لاذ بالآخرين. لكنّ كليهما يمثّلان الشاعر، ففي نسيج العلاقات المُعقّد المُتشابك ينمو الشعر، والكلمات التي تبدأ من العلاقة مع الأشياء، كائنة في النهاية، تُصوّر العالم الداخلي للشّاعر.

يُوزّع كوزاليس مفرداته الشعريّة وموضوعاته، بين عناصر باردة مهجورة وبين بشر مقرّبين، هم سلوى الشاعر؛ ولو كانت لهم هيئة بشر مخذولين ووحيدين ومُبعدين، وهو يصفُ باستخدام إحداها حالَ الأخرى: «الوشاح يتدلّى على مسمار في الجدار/ هذا المساء فاح صدري بعطر الخزامى/ عساه يتذكر عطراً لطالما أحبه؟/ دسستُ خفية في جيبه أزهارها/ حتى يتذكرني في منازل العالم السفلي».

كما لو أنّ الشّاعر غير موجود إلّا عبر الآخر، والشعر غير متحقّق إلا بمجاورته للأشياء والبشر. تعْلَف هذه الحقيقة شعر كوزاليس في إطار يشيرُ إلى الزمن في مواضع كثيرة، لكنه في الوقت نفسه إطارٌ غير منتمٍ إلى زمانٍ محدّد، بل إنّهُ منتمٍ إلى فضاء الشعر المترامي الحُرّ.

(كاتب من سورية)

يرى القارئ في النصوص عزلة رجلٍ يتأمّل الوجود والطبيعة

في نسيج العلاقات المُعقّد المُتشابك ينمو الشّعر

بطاقة

Pambos Kouzalis شاعرٌ من جزيرة قبرص، وُلد في مدينة نيقوسيا حيث يعيش اليوم. درس تاريخ الفن وعلم الآثار في جامعة أثينا، ويعمل في التدريس وينشط في الحقل الثقافي. بالإضافة إلى مجموعاته الشعرية، شارك كوزاليس في إنتاجات مسرحية وتلفزيونية من خلال كتابة نصوص غنائية. نشر في شعره على صوت شخصي، وخصوصية قبرصية تجمعه مع أقرانه الشعراء هناك، رغم انتمائهم الى تقاليد الشعر اليوناني.

باميوس كوزاليس قصيدة تمتلئ بالآخرين

مجاورة الشِّعر للأشياء والبشر

باميوس كوزاليس

إطلالة

مريد البرغوثي ذهاب إلى حيث يصل النثر

مسافر في الشعر أيضاً

يبدو الشاعرُ الفلسطيني الراحل نسيجَ وحده داخل الشعر الفلسطيني، بل مسافراً في الشعر العربي، وهو المسافر الدائم الذي مُنع من العودة إلى تلك التي جرى توارثها، ليس من قديم التراث فحسب، ولكن من أوليات الحداثة. هذا ما أظن أنه استقر في بالي من قراءته الأولى. انطباع مرّ ولم أتابعه بإلحاح. كان ليبدو لي أنه من ضمن موجة بدأت تدل بتباينها وتراكم اختلافها، وخاصة في الشعر العراقي. قَبَض لي، بعد ذلك، أن أشارك مريد في أمسية في الجامعة الأميركية في بيروت. أظن أنّني فوجئت بما صار إليه شعره. بدا لي أنه يزداد ابتعاداً في طريقته وأسلوبه وأنه يحسن أن يزاوج بين غناء حديث وطلاقة تكاد تخرج عن الغناء.

حين أعدت تعرّفي بمريد في بيروت لم نتبادل، فيما أذكر، أي حديث عن الشعر. على الأقل لم نتبادل أي قراءات. بقي لي انطباعي القديم عن اختلاف مريد، لكني وأنا أتبلّغ، عن طريق فيسبوك وفاته، أعود إليه شاعراً وأعيد قراءة ما توفّر لي من شعره، ومرّة أخرى يفاجئني مريد، ولعلّ أول ما فاجأني هذه المرّة ما كنت لم يكن هذا أول عهدي بمريد، كنتُ بالطبع أعرف مريد الشاعر الذي كانت له في نفسي منزلة خاصة، كان داخل الشعر الفلسطيني المتواتر آنذاك مختلفاً، وكانت له وجهته بل وأسلوبه وبالأحرى عالمه. هذا أول ما خطر لي حين قرأته للمرة الأولى. بدا لي أنه يلحق باتجاهات بدأت تتململ في الشعر العربي، يمكننا القول إنها تنحو إلى غنائية ثانية غير تلك التي جرى توارثها، ليس من قديم التراث فحسب، ولكن من أوليات الحداثة. هذا ما أظن أنه استقر في بالي من قراءته الأولى. انطباع مرّ ولم أتابعه بإلحاح. كان ليبدو لي أنه من ضمن موجة بدأت تدل بتباينها وتراكم اختلافها، وخاصة في الشعر العراقي. قَبَض لي، بعد ذلك، أن أشارك مريد في أمسية في الجامعة الأميركية في بيروت. أظن أنّني فوجئت بما صار إليه شعره. بدا لي أنه يزداد ابتعاداً في طريقته وأسلوبه وأنه يحسن أن يزاوج بين غناء حديث وطلاقة تكاد تخرج عن الغناء.

حين أعدت تعرّفي بمريد في بيروت لم نتبادل، فيما أذكر، أي حديث عن الشعر. على الأقل لم نتبادل أي قراءات. بقي لي انطباعي القديم عن اختلاف مريد، لكني وأنا أتبلّغ، عن طريق فيسبوك وفاته، أعود إليه شاعراً وأعيد قراءة ما توفّر لي من شعره، ومرّة أخرى يفاجئني مريد، ولعلّ أول ما فاجأني هذه المرّة ما كنت سمّيته، قبل أسطر، طلاقته.

وقعت هكذا على شعره، رغم أنه في معظمه تفعيلي وموزون، إلاّ أنه مع ذلك، يبدو وكأنه ينحت من النثر أو يزن النثر أو يغني النثر. ليس هذا فقط قدرة على مزاوجة الغناء والنثر. ولكنه أبعد من ذلك. ذهاب إلى حيث يصل النثر وخاصة نثر السجال ونثر التأمل ونثر السرد ونثر الحوار ونثر المناظرة ونثر التعليق والملاحظة، وأكاد أقول، التهكّم.

الغناء عند مريد البرغوثي ليس مطلباً بحد ذاته. إنه فقط هذه القدرة على الدندنة، على التصويت، على الإيقاع. كلّ ما يخطر، وفي كل موقف، وفي أي موضوع، يمكن أن يجد غناءه في شعر مريد. الوطن، الحب، الشعر، الرثاء، حتى رثاء رضوى التي سبقته إلى الرحيل، ببضع سنين، هو أيضاً هذا الغناء الملتبس بالنثر، وحيث الغناء، لا يزال يملك حسم وتسلسل واستطراد النثر. يملك ما هو أقل من المديح. ما هو تحت التزيين والتفخيم والتهويل اللفظي، ما يناسب سريان النثر واللغة المادية والسرد الداخلي. يمكننا أن نفهم من هنا لماذا عالج مريد البرغوثي قصيدة النثر التي لم تكن غريبة في شعره الذي كان حتى في تفعيلته محاورها.

مريد البرغوثي هكذا يبدو نسيج وحده داخل الشعر الفلسطيني، بل يبدو وهو المسافر الدائم الذي مُنع من العودة إلى فلسطين واضطرّ إلى مغادرة مصر وعاش معظم حياته منتقلاً من بلد إلى آخر، مسافراً داخل الشعر العربي.

يمكنني أن استشهد بواحدة من قصائده وليس مستغرباً أن تكون قصيدة نثر: «سألتُ الحرب أسئلة بسيطة
من أين تأتين بهذه الهفة
■■■
ألا تفكّرين ببيت يخصّك
له باب يتجره نجّارون حقيقيون
من خشب مألوف
باب إذا انفتح يستطيع كأمثاله
أن ينغلق
ونافذة حين تطل على مشهد
فإنها لا تغيّره
ألم تصادفي يوماً مخدة
ألا تفكّرين بغرف استقبال
تقدّمين فيها لضيوفك
شياناً غير مهدّد
وموسيقى بلا نحاس».

(شاعر وروائي من لبنان)

الثلاثي الذي كان أبا وأما وابنا يقع الآن على عاتق واحد

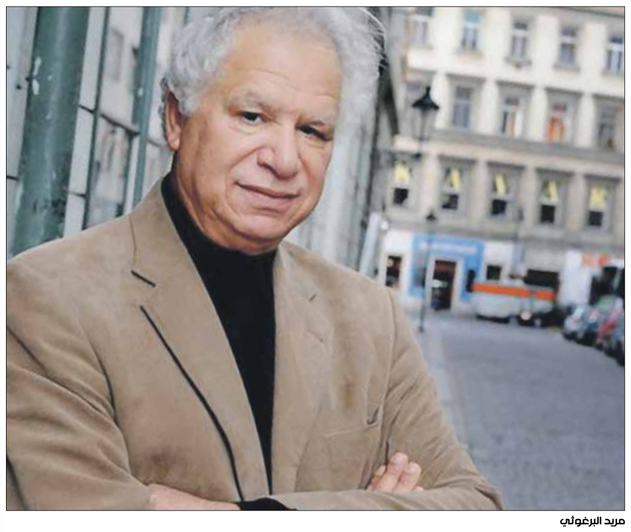

مريد البرغوثي

مشهد

ماكينة يمينية تُحارب طواحين الهواء وترى الأعداء حيث لا يوجدون

في فبركة شيء اسمه «اليسار الإسلامي»

لطالما اعتُبرت الجامعة الفرنسية معقلاً للنضال الحقوقي. لكنّ نضالها أصبح مشبوهاً حين تعلّق الأمر بإدانة تهميش الفرنسيّين المسلمين

نجم الدين خلف الله

«اليسار الإسلامي» لقبٌ اختلَقه الخطاب اليميني الفرنسي، تمويهًا، لعدوّ جديد، بعدما تقنّع بظاهر مَقولات علميّة لبَثّ سُمومه ضمن حملة انتخابيّة مكرورة. تَصدّر وزيرة التعليم العالي بفرنسا، فريدريك فيدال، على أنّ «اليسار الإسلامي» داءٌ استفحل في جَسد الأمّة ونَخرها، والصورة من بلاغتها السياسية، ثمّ تطالب مُختبرات الأبحاث في العلوم الإنسانية باستقصاء مَدى هذا الاستفحال وتَشخيص أعراضه. وسرعان ما ردّ على هذه المغالطات أساتذةٌ «المركز الوطني للبحث العلمي» (CNRS)، أكبر مختبرات فرنسا البحثيّة، بأنّ «لا حقيقة علميّة» لهذه التسمية.

ويعني «مفهوم» اليسار الإسلامي هذا، لدى مُختلقيه، وجودَ أيديولوجيا نضاليّة تتخفّى بستار المنهج العقلي، وتُوفّر غطاءً شبه رسمي-مؤسّساتي للتمدّد الإسلامي في نسيج الجامعة الفرنسيّة وأعمال أساتذتها ورؤادها. كما يُحيل «المفهوم» على اعتماد «المظلوميّة» الإسلاميّة، لدى فئاتٍ عريضة من المثقّفين والشباب، لإدانة تَرسيخ الغرب للتهميش الذي يَرزح تحتَ نِيره العالَم الإسلامي ومُحاربة الهيمنة الأميركية - الأوروبيّة على سائر أصقاع المعمورة. يُهدي الإسلام، بما هو دِيانة ورؤية وخِطاب، حسبَ هذا الزّعم، أدواتٍ تؤجّج هذا النضال وتعبّئ المشاعر ضدّ قِيم الغرب، التي لا ولن يَقبلها الإسلام البتّة.

راهنت الوَزيرة على جعل هذه النزعة موضوعًا للعلم الاجتماعيّ وعلى استنفار مثقّفي اليمين للتصدّي لها ضمن معركة كَسر عِظام مع الإسلام، هذا المتخيَّل القائم في أذهانهم، بل وضدّ مثقّفي اليَسار، مع أنّ جُلّهم يَرفضون التجنّي وسياسة الكَيْل بمكيالَيْن: فكم كانت الجامعة الفرنسيّة تُفاخِر بأنّها مَعقل النضال من أجل حقوق المَرأة والمثليّة الجنسيّة وحريّة تعبير رسّامي شارلي-إيبدو وحقوق الأطفال والحيوان... لكنّ حين يتعلق الأمر بإدانة تهميش المواطنين الفرنسيّين، من ذوي الدِّيانة الإسلاميّة، يُصبح «النّضال» مَشبوهًا، وقد يُقرَن بالانفصال ويُربط بالإرهاب.

ولا تزال الماكينة اليمينيّة تُحارب طواحين الهواء وترى الأعداء حيث لا يُوجدون. أهمَلت الوزيرة مُهمّتها التي أُنيطت بها، وهي إدارة الحياة الجامعيّة التي تَعرف مرحلةً حرجة مع الوضعيات المعقّدة الناتجة عن جائحة كورونا، ومن ذلك إنقاذ عاجل لمئات الآلاف من الطلاب الذين يُكابدون الأمرّين بسبب إغلاق المطاعم الجامعيّة أبوابَها واستشراء ظاهرة الكآبة وبعض حالات الانتحار... تركت كلّ هذا وراء ظهرها وانبرتْ تُواجه مسألة مفْقة. هذا التلفيق مفضوحٌ في فرنسا ذاتها، حيث بدأت تَنتشر مطالبات الجامعيّين باستقالتها، كما أنّ الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون تصدّى لهذه المغالطة، لعلّه هو الآخر مشغولٌ بترتيب برنامجه الانتخابي.

حين نرى الزوبعة التي اختلقتها الوزيرة الفرنسية لا نملك إلّا أن نقول: ما بال هؤلاء السياسيّين كلّما فشلوا، اتّخذوا من المسلمين حائطَ قصيرًا؟ وهذه من بلاغتنا.

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

«مفهوم» يشير لأيديولوجيا توفّر غطاءً للتمدّد الإسلامي في الجامعة

اليغرو بوبتي، 255 × 295 سم

فعاليات

يُختتم، مساء اليوم الاحد في قاعة **مركز الهناجر للفنون** بدار الاوبرا المصرية في القاهرة، معرض **روح المكان** للمصوّر اليمني **علي السنيدار**. يضمُّ المعرض مجموعةً من الصور الفوتوغرافية التي يظهر فيها اشخاص يمثّلون في يوميا تهم، وتُمثّل الازياء التقليدية والعمارة اليمنية جزءاً اساسياً منها.

تُنظّم **مكتبة الارشيف** في عمّان، عند الخامسة من مساء اليوم عبر تطبيق «زووم»، اللقاء الثاني من سلسلة لقاءات **فلسطين في الكتابة التاريخية**، بمشاركة الباحثين علي محافظة ومهند مبيضين اللذين سيتحدّثان عن كتاب «يوميات عارف العارف في إمارة شرق الاردن 1926-1929»، الصادر حديثاً عن «المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات»، ويحاورهما الباحث هاني حوراني.

ضمن معرض **عمرٌ من الريح**، يستضيف **مركز الصورة المعاصرة** في القاهرة، عند السابعة من مساء اليوم، الشاعرة والمخرجة المصرية **صفاء فتحي** (الصورة) للحديث عن فيلمها **محمد ينجو من الماء** (2012)؛ حيث يناقش اللقاء فكرتي المرض والموت وابعادهما الذاتية والاجتماعية والسياسية. يُبثّ اللقاء عبر تطبيق «زووم».

بعرض مسرحية **ذئاب منفردة** للمخرج **وليد دغستي**، تُختتم عند الثانية من بعد ظُهر اليوم، تظاهرة **ايام مركز الفنون الدرامية والركحية بالكاف**، والتي افتُتحت اوّل امس في «قاعة الفن الرابع» بتونس العاصمة بمسرحية «عرض الهوى» لرضوان الهنودي، بينما عُرضت امس مسرحية «x» لمحمد الطاهر خيرات.